قد جاء ردا على من أنكروا النسخ وعابوا به الإسلام ونبي ا لإسلام بدليل قوله سبحانه قبل هذه الآية وإذا بدلنا آية مكان آية وا أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ومعلوم أن روح القدس إنما ينزل بالقرآن وإذن فلا ينسخ القرآن إلا بقرآن .

وننقض هذه الاستدلال بأن الكتاب والسنة كلاهما وحي من ا وكلاهما نزل به روح القدس بدليل قوله سبحانه وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فالذهاب إلى أن ما ينزل به روح القدس هو خصوص القرآن باطل .

دليلهم الرابع أن ا تعالى يقول وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقائي نفسي وهذا يفيد أن السنة لا تنسخ القرآن لأنها نابعة من نفس الرسول .

وندفع هذا الاستدلال بمثل ما دفعنا به سابقه وهو أن السنة ليست نابعة من نفس الرسول على أنها هوى منه وشهوة بل معانيها موحاة من ا تعالى إليه وكل ما استقل به الرسول أنه عبر عنها بألفاظ من عنده فهي وحي يوحى وليست من تلقاء نفسه على هذا الاعتبار وإذن فليس نسخ القرآن بها تبديلا له من تلقاء نفسه إنما هو تبديل يوحى .

دليلهم الخامس أن آية ما ننسخ من آية أو ننسها تدل على امتناع نسخ القرآن بالسنة من وجوه ثلاثة أولها أن ا تعالى قال نأت بخير منها أو مثلها والسنة ليست خيرا من القرآن ولا مثله .

ثانيها أن وقوله نأت يفيد أن الآتي هو ا والسنة لم يأت بها ا إنما الذي أتى بها رسوله .

ثالثها أن قوله ألم تعلم أن ا على كل شيء قدير ألم تعلم أن ا له ملك السماوات والأرض وما لكم من دون ا من ولي ولا نصير يفيد أن النسخ لا يصدر إلا عمن له الاقتدار الشامل والملك الكامل والسلطان المطلق وهو ا وحده .

وندفع الوجه الأول من هذا الاستدلال بأن النسخ في الآية الكريمة أعم من أن يكون في الأحكام أو في التلاوة والخيرية والمثلية أعم من أن تكونا في المصلحة أو في الثواب وقد سبق بيان ذلك وإذن فقد تكون السنة الناسخة خيرا من القرآن المنسوخ من هذه الناحية وإن كان القرآن خيرا من السنة من ناحية امتيازه بخصائصه العليا دائما .

وندفع الوجه الثاني بأن السنة وحي من ا وما الرسول إلا مبلغ ومعبر عنها فقط فالآتي بها على الحقيقة هو ا وحده